

## جماليات التعالق النصي في قصيدة "الطفل الحلم" لهشام الصقري

عبد القادر البار

رحمة الله أوريبي

جامعة قاصدي مرياح ورقلة

[kader.barr1@gmail.com](mailto:kader.barr1@gmail.com)

تاريخ: الاستلام: 2017/12/22 تاريخ القبول: 2018/12/10 تاريخ النشر: 2018/12/27

### الملخص:

استطاعت القصيدة العربية المعاصرة أن تكسر انسيابية الزمان والمكان، وأن تختزل لنا العصور والأزمنة في بضع أسطر، وذلك من خلال التعالقات النصانية التي يستحضرها الشعراء في نصوصهم؛ فالنص عبارة عن فسيفساء نصوص قادمة من سياقات شتى، بل هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى على حد قول جوليا كرسنيفيا. ولعل هذا ما نجده في قصيدة "الطفل الحلم" لهشام الصقري حيث استحضر الشاعر من خلالها الموروث الديني الذي تمثل في قصة سيدنا موسى عليه السلام بجزئيات وتفاصيلها، كأنها إعادة إسقاط للقصة على ثنايا القصيدة. وهذا ما سنبرزه في صفحات الورقة البحثية؛ حيث سنحاول البحث عن جماليات هذا التعالق النصي من خلال الارتكاز على ثنائيتي التشاكل والتباين بين النص الأصلي، والنص المحاكي له.

الكلمات المفتاحية: التعالق النصي-السيمياء-الرمز-المتخيل-التباين-التشاكل.

### Abstract

The aesthetics of hypertextuality in the poem of Hesham al-Saqri "The Dream Child"

The contemporary Arabic poem has been able to break the space-time, and merge the ages in a few lines, through its hypertextuality that poet employed it in their texts, especially when we know that the text is "mosaic of the other texts coming from different contexts », says Julia Christieva

Based on this critical vision, we'll try to analyze the poem "The Dream Child" by Hesham Al-Saqri, where the poet recall the religious heritage represented in the story of prophet Moses, with its details.

This is what we will illuminate in this research paper, where we will indicate the aesthetics of hypertextuality focusing on (isotopy/heterotopy) between the original text and the simulated one .

**Kay Ward:** semiotics, the symbol, the imaginary, textual relations, difference, constitution.

### Résumé :

L'esthétique des relations textuelles dans le poème de l'enfant rêvé de Hichem al-sari

La poésie arabe contemporaine avait réussi à briser l'aspect spatio-temporel, en faisant une soustraction temporelle en quelques lignes, cela est fait à travers des relations textuelles que les poètes emploient dans leurs textes, le texte est une mosaïque des textes venus de différents contextes, c'est une alimentation et transfère des textes selon JULIA CHRISTIEVA.

C'est qu'on trouve dans le poème de l'enfant rêvé de HICHAM SAQRI, le poète avait rappelé l'héritage religieux qui a été représenté dans l'histoire du prophète MOISE avec des détails, c'est qualifié comme une projection de l'histoire dans ce poème, ce qu'on va la montrer au fil de cette recherche, nous allons essayer de chercher l'esthétique des relations textuelles en s'appuyant sur l'isotopie et hétérotopie entre le texte original et le simulé.

**Mots- clés :** la sémiotique, le symbole, l'imaginaire, les relations , textuelles, difference , constitution.

### مقدمة:

استطاعت القصيدة العربية المعاصرة أن تكسر انسيابية الزمان والمكان، وأن تختزل لنا العصور، والأزمنة في بضع أسطر، وذلك من خلال التداخلات النصانية التي يستحضرها الشعراء في نصوصهم؛ فالنص عبارة عن فسيفساء نصوص قادمة من سياقات شتى، بل هو تشريب وتحويل لنصوص أخرى<sup>(1)</sup> على حد قول جوليا كريستيفا، فكل «نص تختبئ وراءه نصوص، مما يمكننا من قراءة السابق من خلال اللاحق، واستحضار القديم من خلال الجديد، وتفجير المداليل، واكتشاف علاقات المماثلة والتحويل، والتضمين، والمرأوغة»<sup>(2)</sup>

1- جوليا كريستيفا- علم النص- ترجمة فريد الزاهي- دار توبقال –الدار البيضاء-ط2-1997-ص 55.

2- د. شادية شقروش: تجليات يوسف في الشعر العربي المعاصر دراسة موضوعية، رسالة دكتوراه، ص 1.

وهو ما حصل في قصيدة "الطفل الحلم"، حيث استحضرت الشاعر من خلالها الموروث الديني، ولا شك أنه-الموروث الديني- «من أهم الخطابات التي تفاعلت مع المنجز الأدبي، الذي استلهم مادة واسعة متناثرة في مظان كثيرة: الكتب المقدسة والتفاسير والتاريخ، والمرويات الشعبية... إلخ.»<sup>(3)</sup>، كما احتل القصص القرآني مكانة كبيرة في المنجز الشعري المعاصر، بل شكّل طابعا أسطوريا لكثير تدواله من قبل الشعراء، بل أمدنا بنماذج مختلفة يمكن أن نعدّها معالم للتركيبية البشرية على مر العصور؛ فأدم عليه السلام أنموذج للإنسان بكل مقوماته وخصائصه، وأهمها الضعف البشري، وشخصية إبراهيم عليه السلام أنموذج للهدوء، والتسامح، وشخصية يوسف عليه السلام تشكل مجموعة من الحوافز المتألّفة التي استطاعت أن تكون مثالا تحتذي به البشرية.<sup>(4)</sup>

أما شخصية موسى عليه السلام فهي أنموذج للزعيم الحيوي، والمخلص أو المنقذ الذي لم يهجره التاريخ، ولا الإبداع، بل كانت قصته حاضرة في الأدب شعره، ونثره. ويعد "هشام الصقري" من ضمن الشعراء الذين استطاعوا بأسلوبهم، وثقافتهم استحضار هذا الرمز الديني-الذي عاصره الشعراء، وكتبوا عنه من قبل- فتمثلت شخصية موسى مع هذا القص الشعري، وتتداخلت مع رؤى الشاعر، فخيم على النص الطابع الديني. ما فرض علينا أن نتعرض أثناء تحليلنا-لهذه القصيدة-إلى قصة موسى-عليه السلام- حتى يتسنى لنا معرفة مدى التشاكل والتباين بينها وبين القصيدة وكيف تجلت شعريا .

إذاً: إلى أي مدى تجلّى حضور موسى في القصيدة؟ وكيف وظفه الشاعر؟ ولماذا؟ وهل وظف الشاعر السحر في قصيدته انطلاقاً من أن ملابس هذه القصة تتضمن موضوع السحر؟ وإن وجد كيف وظفه هشام الصقري؟

وكي أتمكن من الإجابة على هذه الأسئلة حاولت أن أستعين بالآليات الإجرائية للمنهج السيميائي، «فإذا كان النص بوحاً مضمرًا، فإن السبيل إلى كسر حاجز الصمت والتمنّع هو الآليات الإجرائية للسيميائي والتأويل الذي يسهّل علينا العبور، من خلال تتبّع مسارات السيميوز- مسارات الرمز وتحولاته داخل أسوار اللغة ضمن النسق الكلي للقصيدة-إلى خفايا النص»<sup>(5)</sup>، كما سأستعين بالمنهج الموضوعاتي من خلال تتبع

3- د. شادية شقروش: المرجع نفسه، ص أ.

4- ينظر: د. شادية شقروش: المرجع نفسه، ص أ "بتصرف"

5- د. شادية شقروش: سيميائي الشعريين فيض التلقي وشعرية اللغة، قصيدة دموع الحلاج للشاعر علي شمس الدين

في، مقال نقدي ص1.



**الطفل الحلم:** يفتح العنوان على فضاء دلالي يفسح لنا مجالاً للتأويل؛ فهو مكون من مفردتين "الطفل الحلم" تخلفانفي ذهن المتلقي تساؤلات عدة لعل أبرزها: لماذا شكل الشاعر عنوانه بهذه الطريقة؟ لماذا قال الطفل الحلم ولم يقل حلم الطفل؟ لماذا اعتمد على "ال" التعريف؟ فالمغزى هنا هو التخصيص والتعيين؛ أي أن المقصود شخص بعينه أو طفل معين. إذاً من المقصود في هذا العنوان وأي الأطفال يقصد الشاعر؟

يبدو العنوان لأول وهلة بسيط المظهر ولكنه في الحقيقة مكثف الدلالة فهو جملة اسمية مكونة من مبتدأ خبره في المتن، كأن نقول هذا الطفل الحلم، فالطفل هنا مبتدأ، والحلم بدل، والبدل هو المقصود بالحكم؛ أي أن الطفل هو الحلم، والحلم هو الطفل فهناك تماهٍ وتطابق، وتمازج بين اللفظتين، ولكن ما طبيعة العنوان؟ وما الدلالات التي يرمي إليها؟ فلو ركزنا قليلاً لوجدنا أن العنوان يضم داخله قصة ما بحكم التخصيص والتعيين؛ فالشاعر لم يضعه على هذه الشاكلة اعتباطياً بل حاول من ورائه أن يحيلنا على شيء ما، وكأنه - الشاعر - هنا أيضاً يستحضر النص القرآني فلو حاولنا تتبع العنوان ودلالاته لوجدنا أن الطفل يحيلنا على النقاء، الطهارة، البراءة، الصدق، الحياة، وفي الطفل روح المرح وفيه دلالة على الحرية، الأمل، ولعله «مهد الأحلام، ومبعث الأمل، وبؤرة الحياة السعيدة»<sup>(10)</sup> والطفل في هذا السياق ارتبط بالحلم، وفي الحلم دلالة على الطموح، والمستقبل، على الأمل، وارتباط هذه المفردة -الطفل- بالحلم قد تحيلنا على طموح الشاعر. لكن إلى ماذا يطمح الشاعر، وما الحلم الذي يرغب في الوصول إليه؟؟

قد تتوسع دائرة العنوان لتحيلنا على شيء آخر، فلو دققنا قليلاً لوجدنا أن جملة "الطفل الحلم" فيها ملامح خفية تعبر عن قصة قد تتناص مع موروث ديني أو أسطوري؛ فداخل ثنايا العنوان هناك خيط رفيع يربط بين الطفل والحلم، فذات الطفل الراغبة في الحلم هي التي تحدد مساره؛ أي أن بين الطفل والحلم هناك علاقة رغبة، ناهيك أن بين الطفل والحلم دلالة مشتركة وهي الأمل وما بينهما هناك علاقة اتصال قد تكتمل عندما يحقق الطفل حلمه؛ أي أن الذات الأولى/ الطفل تصارع الذات الثانية/ الواقع لتصل إلى الحلم.

وعليه يمكن القول أن الشاعر لم يقيد نصه الأول/ "العنوان" بل جعله يفتح على العديد من الدلالات؛ فقديمًا كان المعنى لا يستقر إلا في بطن الشاعر، أما في زمننا فقد اختلف الحال أصبح المعنفي «بطن القارئ»، فلقد انكسرت مركزية المعنى ومركزية الذات الأولى التي تحتكر المعنى وصار المعنى

10- عمر أحمد الربيعات، الشاعر وذاكرة الطفل في الشعر العربي الحديث، رسالة مقدمة لاستكمال درجة الدكتوراه،

تحت إشراف الأستاذ الدكتور سامح المرشدة، جامعة موه، 2010م، ص 4.

مبعثراً على وجه النص، ينتظر قارئاً ما، لكي يلتقط مفرداته الأولى، وينظم منها شجرة دلالية»<sup>(11)</sup> إذاً كيف يمكن التسليم بالدلالة الواحدة مادام النص يفتح على أكثر منها؟ كيف يمكن أن نللم شظايا هذا العنوان، ونصل إلى المعنى الذي يقصده الشاعر؟ فالشاعر يمتلك قدرة الوصل والفصل بل إنه وضعنا في حالة اتصال وانفصال وذلك من خلال التساؤلات التي شتت من خلالها أذهاننا، ولعل هذا يفرض علينا العودة إلى المتن -القصيدة- حتى نتمكن من الربط بين العنوان والقصيدة فنجيب على الاشكالات السابقة.

### ب- شعرية المتن:

#### 1- النص :

طفلاً يَرْتَبُّ فِي المَرَايَا يُثْمَرُهُ  
 لم يَحْمِلِ التَّابُوثُ إِلَّا حُلْمَهُ  
 أَلْقَتْهُ فِي يَمِّ التَّأْمَلِ لِحَظِّهِ  
 فَارْتَدَّ يَحْضُنُ فِي الحَنَائِيَا يَمَّهُ  
 دَسَّ الحَيَاةَ حَكَايَةً أَرْزَلِيَّةً الدِّ  
 معنى، فَدَسَّتْ فِي الحَكَايَةِ هَمَّهُ  
 حَتَّى نَمَّا زَيْتًا عَلَى قِنْدِيلِهِ  
 ضَوْءُ المَعَانِي فِيهِ يَنْشُرُ إِسْمَهُ  
 مَدُّ أُنْكَرْتُهُ الأَرْضُ لَا حَرْفَ سِوَى  
 حَرْفِ السَّمَاءِ الآنَ عَادَ فَضَّهُ  
 سَحَرٌ وَأَلْقَى رُؤَاكَ تَلْقَفَ طَرْفَهُمْ  
 أَفْقًا مِنَ الإِعْجَازِ فَسَّرَ نَجْمَهُ  
 جَيْشٌ مِنَ الوَهْمِ القَدِيمِ مُطَارِدٌ  
 فَلَقَّ اليَقِينِ لَهُ فَأَغْرَقَ وَهْمَهُ

11- د. عبدالله الغدامي، تأنيث القصيدة، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، لبنان، 1999م، ص 123.

وَرَقَى إِلَى الْكَلِمَاتِ فَجَرَّ آيَةً

لِلْمَاءِ ، مِنْ نَجْوَاهُ يَعَصِرُ غَيْمَهُ

طِفْلٌ أَبُو ظَبِيٍّ اِحْتَوَتْهُ فَمَشَهُ دُ

لَمَا تَجَلَّى فِيهِ أَمْسَكَ فَهَمَّهُ

فِي جَيْبِ هَذَا الشَّعْرِ أَدْخَلَهَا يَدًا

فَإِذَا بِهَا بِيضَاءَ تُشْبِهُ حُلْمَهُ.

## 2- التحليل:

تنتفتح القصيدة على مشهد سرديشنتت من خلالالشاعر انتباهنا بل حاول أن يستدرجنا لنتتبع مسار القص الذي يرغب في وضع حد ونهاية له، فنجده يستهل قصيدته فيحاكي حالة طفل ينشد حلماً ما أمام المرأة فتلفظه، وتلقي بحلمه في التابوت.يقول الشاعر :

طِفْلٌ يُرْتَبُ فِي الْمَرَايَا يُتَمِّمُهُ

لَمْ يَحْمِلِ التَّابُوتُ إِلَّا حُلْمَهُ

أَلْقَتْهُ فِي يَمِّ التَّأْمَلِ لِحَظْمَهُ

فَارْتَدَّ يَحْضِي فِي الْحَنَائِيَا يَمَّهُ

لا شك أن الشاعر يتتبع حلمه خطوة بخطوة، فنجده يشخصه بالتدرج، ويشاكل في ذلك قصة من قصص القرآن، فالملمح الديني الذيغلبه عباراته بل وشح به نصهواضح، ومتجلي في مفرداته التي انتقاها، وكأن الشاعر ارتدى بردة النبوة وبدأ يصور حلمه الذي ألقته به المرايا في تابوت التأمل، فمن الذي وضع في التابوت وألقي في اليم غير موسى عليه السلام!

إذن الشاعر في هذا المقطع يشاكل موسى الطفل عليه السلام الذي ألقى في اليم خوفا من بطش فرعون، وفي هذا السياق يحضرنا قوله تعالفي سورة القصص: «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» (الآية7) فالشاعر من خلال المفردات ( التابوت- اليم- ألقته- ارتد) يتناص مع القرآن الكريم مستحضرا في ذلك مرحلة من مراحل ولادة موسى عليه السلام، بل لحظة الفجيرة التي عاصرتها أم موسى عليه السلام وقت ألقته في "اليم"، فيراوغ

الشاعر بحرفه، ويتكئ على النص القرآني بامتياز، ويفرغه من دلالاته الأصلية ويشحنه بدلالات أخرى تخدم نضجه. ولو توقفنا قليلاً عند مفردة "اليم" لوجدنا أنه رمز للتجدد، والانبعث؛ فالماء هو الحياة، لقوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» «الأنبياء 30»؛ ففي الماء إحالة على الحياة، واليم يتجدد بين اللحظة والأخرى، وهذا ما يشاكل موسى عليه السلام، فهو في حد ذاته رمز للتجدد والانبعث، و"اليم" في هذا السياق حمل حلم الشاعر -بواسطة التابوت- بعد أن تأمله طويلاً أمام المرايا. ولو توقفنا عند المرايا -وهي جمع لمفردة مرآة والمرآة مثني- نجد أنها تشاكل أخت موسى التي ألقته في اليم. وكأن الشاعر يحاول أن يشاكل السرد في فنياته وتفاصيلها، فخلق من القصص القرآني لحظة أخرى مستعينة بمفرداته، بل إنّه تبنى لغة القرآن، وقام بتعريبها وتجريدها من عمقها الدلالي ليحيك دلالة أخرى قريبة منها. فقام بعملية امتصاص للسرد وتحويره شعراً؛ فالشاعر حمل حلمه، والحلم هو الفكرة أو الخيال الذي قد يتجلى في واقعه وقد لا يتجلى، ولكن من الذي ألقى حلمه؟ المرايا هي التي ألقته، والمرآة في دلالتها تعكس صورة الشخص، وبما أن الشاعر يحاكي المرآة فهو يحاكي أفكاره/عقله؛ أي أنه اشتق من نفسه ذاتاً أخرى مؤنثة ليعكس تصوراتها ويحاكيها، فالمرآة عندما ألقته حلمه رأى نفسه يحتضن يمه/شعره، أي أن الشاعر احتضن أفكاره بعد هذا المشهد التأملي. والمتأمل لهذا المشهد السردى سيجد أن :



تسهّم هذه المفردات في تأطير المشهد الذي خصه الشاعر منذ البداية، وهو مرحلة ولادة الحلم، وبدايات تشكيله مع موسى الطفل. ويسترسل الشاعر في خطابه الشعري فيكمل سرد القصة التي بدأها، لتغيب شخصية موسى على مستوى هذه الأبيات فتبرز شخصيته أكثر، وكأن الشاعر يحاول أن يتجاوز لحظة التأمل التي صنعها وقت تلاقت أفكاره مع المرآة فيقول:

دَسَّ الحَيَاةَ حَكايةً أَرَلِيَّةً الـ

معنى، فَدَسَّتْ في الحَكايةِ هَمَّهُ

حَتَّى نَمَّا زَيْتًا على قِنْدِيلِهِ

## ضوء المعاني فيه ينشر اسمه

ففي هذا السياق يتكئ الشاعر على الأسلوب الخبري ليكمل ما ظل عالقا من الحكاية/حكاية الطفل، الذي خبا/دس حلمه/ لحظة التأمل حتى أتاه بريق الابداع، وضوء المعاني، فالشاعر في البداية كان يرغب في تحقيق حلم ما، وظل يصارع أفكاره التي انعكست في المرايا، بلتلك التي ألقته في اليم، ولكنه لم يقو على التعبير عنها كما لم يقو على قبضها فخبأها، إلى أن تولدت الأفكار والمعاني/نما زيتا على قنديلته/ ضوء المعاني، فكل هذه المفردات فيها إحالة على أن الشاعر الذي ضيّع مساره قد وجد السبيل أو البداية لفكرته/خيطة المعاني؛ أي أن المعاني بدأت تتضح والرؤية بدأت تتضح .

ليحضر موسى عليه السلام بعد ذلك من خلال نصه الشعري مرة أخرى، حيث خفّ حضوره في الأبيات السابقة، وإذ به يتجلى مرة أخرى ولكن في مرحلة عمرية من مراحل حياته ففي الأبيات السابقة استحضر الشاعر موسى الطفل، وهاهو يلاحق مرحلة عمرية أخرى للنبي وهي مرحلة الشباب/مرحلة النضج فيقول:

مُدُّ أَنْكَرْتَهُ الْأَرْضُ لَا حَرْفَ سِوَى

حَرْفِ السَّمَاءِ الْآنَ عَادَ فَضْمَهُ

سَحْرٌ وَأَلْقَى رِوَاكَ تَلَقَّفَ طَرْفَهُمْ

أَفْقًا مِنْ الْإِعْجَازِ فَسَّرَ نَجْمَهُ

فالتأمل لهذه الأبيات يجد أن الشاعر يستحضر موسى الشاب عليه السلام، الذي أنكرته الأرض فظل هاربا من بطش فرعون الذي كان يرغب في قلته منذ كان فكرة -قبل ولادته- حتى كلمه الله تكليما بل أنزل عليه الوحي. ولعل ما يثبت ذلك ضمير الغائب الذي وظفها الشاعر فقوله: "أنكرته، حرف السماء، ضمه" كلها مرادفات تعبر عن حالة موسى عليه السلام في تلك الفترة، ولكن الشاعر يختزل شيئا آخر من خلال مشاكلته لهذه المرحلة العمرية فيحاول أن يصور مدى اللغة المتعالية الحاضرة لديه، وكأنه لم يجد ملاذه في الأرض حتى يشكل رؤيته/حلمه، فاتخذ من السماء قبلة لأفكاره، فكان الإلهام هنا يشاكل الوحي الذي نزل على موسى، فالشاعر في هذا السياق يتخير مفرداته وتراكيبه محاولا أن يشكل فرادة في المعنى، فقولنا:

حرف السماء = الكلمة المقدسة = كلمة الله لموسى = الوحي = الإلهام، كلها مفردات تتوازي ربما لتحيلنا على أن الشاعر يتعالى بلغته التي سيصور من خلالها رؤيته التي شخّصها منذ أول عتبة "العنوان - الطفل اللحم - ليتناص في البيت الذي يليه مع قوله تعالى: «وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ

سَاجِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى» (طه الآية 60) ويحضر في هذا السياق موضوع السحر، وهنا نفهم أن الشاعر يتتبع القصة- قصة موسى عليه السلام- منذ بدايتها ويتشاكل معها بالتدرج، وهنا ينفتح المشهد على مصرعيه حيث يتداخل خوف النبي وقت ألقى السحرة بعصيه مع خوف الشاعر، ولكن النبي طمأنه الله بأن يلقي ما في يمينه حتى يتمكن من غلبة السحرة، أما الشاعر فقد كانت ذاته الأولى تستقطر الخوف وتخشى مواجهة الملاء/الجمهور/النقاد، ولكن ذاته الثانية التي اشتقتها منذ بداية النص طمأنته بأن له لغة متعالية/حرف السماء/أفقا من الإعجاز التي نزلت بل أنته مسترسلة من السماء، وبما أن الشاعر يحمل في ذاته حلما منذ البداية، فبالضرورة ستتصهر الذات الأولى مع الثانية لتعبر عن رؤيته وآماله وأحلامه التي كان يحاول اخفائها منذ البداية. لتبدأ الرؤيا في الظهور شيئا فشيئا وتترأى ملامح الحلم الذي ألقته المرايا في يم التأمل، فنجد الشاعر يستترسل في السرد مرة أخرى ليصل لمرحلة التقوق، والتغلب على غيره فيستحضر لحظة غرق فرعون، ولحظة انفلاق البحر إلى نصفين فيتناص مع القرآن الكريم مرة أخرى: يقول الشاعر :

جَيْشٌ مِنَ الْوَهْمِ الْقَدِيمِ مُطَارِدٌ

فَلَقَ الْيَقِينَ لَهُ فَأَغْرَقَ وَهْمَهُ

وَرَقَى إِلَى الْكَلِمَاتِ فَجَزَّ آيَةً

لِلْمَاءِ، مِنْ نَجْوَاهُ يَعَصِرُ غَيْمَهُ

فالتناص جلي في المقطع الثاني عندما يقول فلق اليقين/فجر آية/أغرق وهمه، ففلق اليقين تناص مع قوله تعالى: « فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر، فإنفلق فكان كل فرق كالطود العظيم» واستحضار الآية في هذا السياق يجعلنا نقر بتصاعد الحدث؛ أي أن الشاعر مزال يراود حلمه من ناحية ويشاكل تفاصيل قصة موسى من ناحية أخرى، فجيش فرعون طارد موسى رغبة في قتله، أما الشاعر فجيش من الأرق والقلق يراوده، وكأنه يصور حالة التحدي التي تسيطر عليه، فالنقاد في هذا السياق = الجمهور = فرعون، ومسألة فلق البحر = فلق الشعر = قول القصيدة، وكل هذه الدلالات تتشاكل مع بعضها البعض لتعبر عن حلم الشاعر وهو الكتابة/ لحظة ولادة القصيدة/فجر آية، وقد اتخذ الشاعر في هذا الخطاب الشعري، دورين : "دور النبي ودور السارد"، فتارة يشاكل النبي وتارة أخرى يسرد لنا تفاصيل حلمه، حتى يكشف في الأخيرة عنه عندما يقول :

طِفْلٌ أَبُو ظَبِيٍّ اِحْتَوَتْهُ فَمَشْهُدٌ

لِما تَجَلَّى فِيهِ أَمْسَكَ فَهَمَهُ

فِي جِيبِ هَذَا الشَّعْرِ أَدْخَلَهَا يَدًا

فَإِذَا بِهَا بِيضَاءَ تُشْبِهُ حُلْمَهُ

ينهي الشاعر مشهده بالبشارة وهي ولادة الحلم وتحققه كما تحققت البشري مع موسى عليه السلام، فيتناص أيضا في هذا السياق عندما يقول: "في جيب هذا الشعر أدخلها/ فإذا بها بيضاء تشبه حلمه" مع قوله: « وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۖ فِي تَسْعِ آيَاتِ إِلَيَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» (النمل 27)، وهنا تكتمل الرؤيا ويكتمل المشهد القصصي ويختتم الشاعر قصته وحلمه. ولعل أبرز ملمح يتجسد في هذه القصيدة هو أن الشاعر تسلل إلينا منذ بداية نصه متخذا من أسلوب الحكاية مادة للفت انتباهنا وجعلنا ننتبع القصة، فنجده يتعامل مع المتلقي كما يتعامل القاص مع الطفل، فكان عنصر التشويق طاغ في هذا الخطاب الشعري، بل استمالنا الشاعر، واستدرجنا لنقرأ بوجه الذي تداخل فيه السرد وانصهرت فيه عناصر القصة وتداخلت مع الشعر، وذلك من خلال تعدد الفواعل والوصف والتحليل، ما أدى إلى انكسار هيمنة النمط الواحد في ظل فلسفة التنوع، لتظل بذلك الكتابة الشعرية في هذا الإطار تحولا مستمرا وخرقا للنمط التقليدي الجاهز، ولعل هذا ما يكسبها جدة ويجعل المتلقي ينجذ إليها أكثر، فخرق أفق توقع المتلقي وخروج القصيدة من السائد بحثا عن مدارات التعالي، وكسر الأنساق المألوفة تجديدا من داخل كيان القول الشعري<sup>(12)</sup>، هي التي تكسب النص جمالية، وتمنحه سمة التعالي عن اللغة العادية، وكل هذا يصب في صالح الشاعر، فهشام في هذا القصيدة لم يتعامل مع جمهوره باللغة العادية، بل اتخذ مسارا قصصيا آخر تجلى من خلاله نموذج موسى معبرا به عن حلمه، فبما أن الحلم يتشاكل مع النبوة أو هو جزء منها، فإن الشاعر له حلم، والحلم في هذا الإطار هو الكلمة؛ فقد حمل الشاعر هم إيصال كلمته للجمهور فلم يجد سوى قصة موسى لتعبر عن فكرته، فكان حاملا لهذا الهم وهو هم وصول كلمته، فكما حمل موسى هم وصول كلمته إلى بني اسرائيل، حمل الشاعر الهم ذاته وقد نجح في إيصال كلمته لجمهوره من خلال لغته الشعرية، وكلماته المتعالية .

12-1 خالد الغربي، الشعر التونسي المعاصرين والتجريب والتشكل، دار النهى للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1،

سفاقص، تونس، 2005، ص ص 65-66

وعليه يمكن أن نخلص إلى أن الذات التي اشتقها الشاعر من نفسه في بداية الشعر هي الذات الكاتبة، والكتابة هي المرآة التي تعكس صورة الشاعر ، ولعل الحقل الدلالي الذي غرف منه الشاعر شعره يتعلق بالكتابة ويتجلى ذلك في :

- (الفكرة ، الحكاية، الحلم، التأمل، المعنى، المعاني ، حرف، رؤا، الكلمات، الشعر، بيضاء وكلها مفردات = الكتابة = القصيدة = لحظة المخاض.)

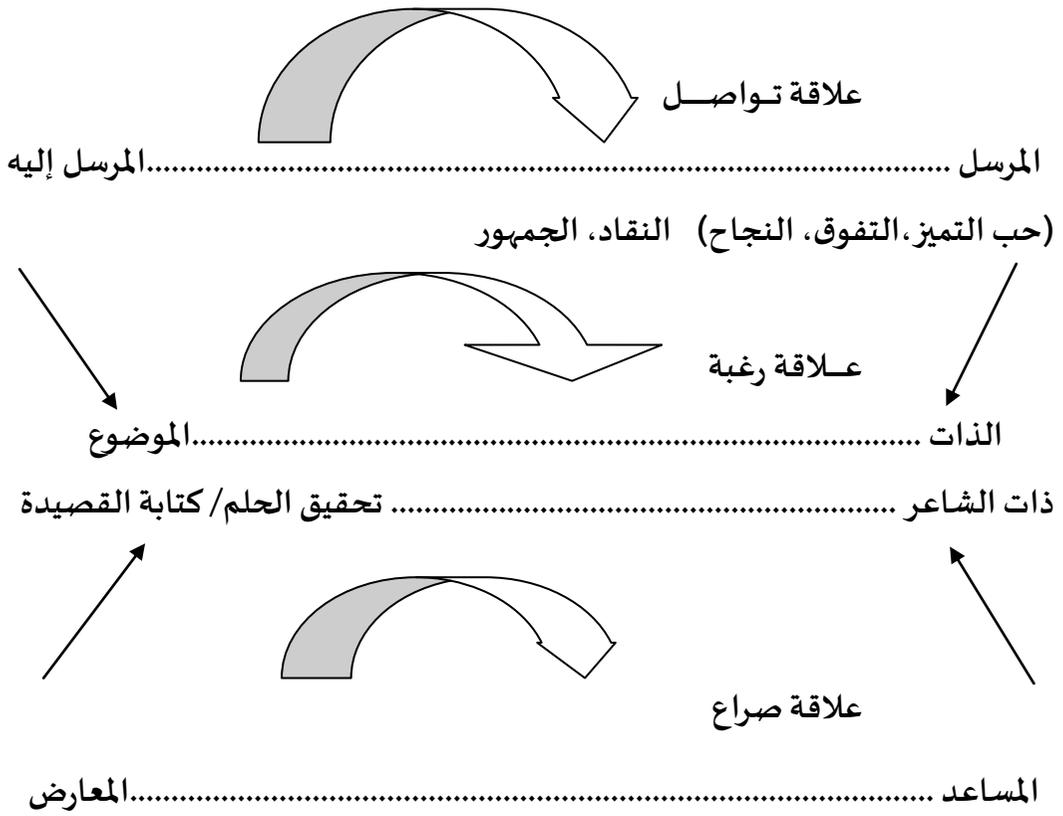
فالشاعر يحاكي لحظة كتابة الشعر منذ نشأته كفكرة حتى ولادته كقصيدة، واستحضاره لقصة موسى عليه السلام، ومراحل حياته ومعجزاته، فيها إحالة على مراحل نمو القصيدة وتحقق الحلم، فالحلم يولد صغيراً، ويكبر في فكر الطفل حتى يكبر، ويصل فيتمكن من تحقيقه، كذلك القصيدة تولد من رحم الابداع كفكرة، ويحملها الشاعر كتفاصيل صغيرة، ويتتبع بصيصها حتى تولد وتتجسد على أرض الواقع ...

ويمكن أن نخلص من خلال هذا القص الشعري إلى برنامج سردي فرضته طبيعة القصيدة التي تتداخل من خلالها الشاعر مع النمط القصصي، فالقصة الشعرية مكونة من ذوات ومرسل وموضوع لعلها تتجلى في :

- الذات: ذات الشاعر .
- الموضوع: تحقيق الحلم لأن العلاقة بين الذات والموضوع هي علاقة رغبة.
- المرسل هو الدافع الذي دفع بالذات كي ترغب في الموضوع وهنا المرسل هو حب التميز/حب التفوق/النجاح/الفوز على الشعراء/الانتصار لذاته وعلى لجنة النقاد.
- المرسل إليه: النقاد/الجمهور/المتلقين
- المساعدين بالنسبة للشاعر: اليم، التابوت، الحرف، التأمل، المرايا، ضوء المعاني ، التجلي، سحر الكلمة، الإلهام، الإعجاز، السماء، اليقين، وكل الملابس التي تتبع حالة ولادة القصيدة.
- المعارضين للشاعر: القلق، النقاد، الجمهور، التفكير، الأرض، الشعراء، أعداء النجاح...

وعليه يكون البرنامج السردى كآتي:

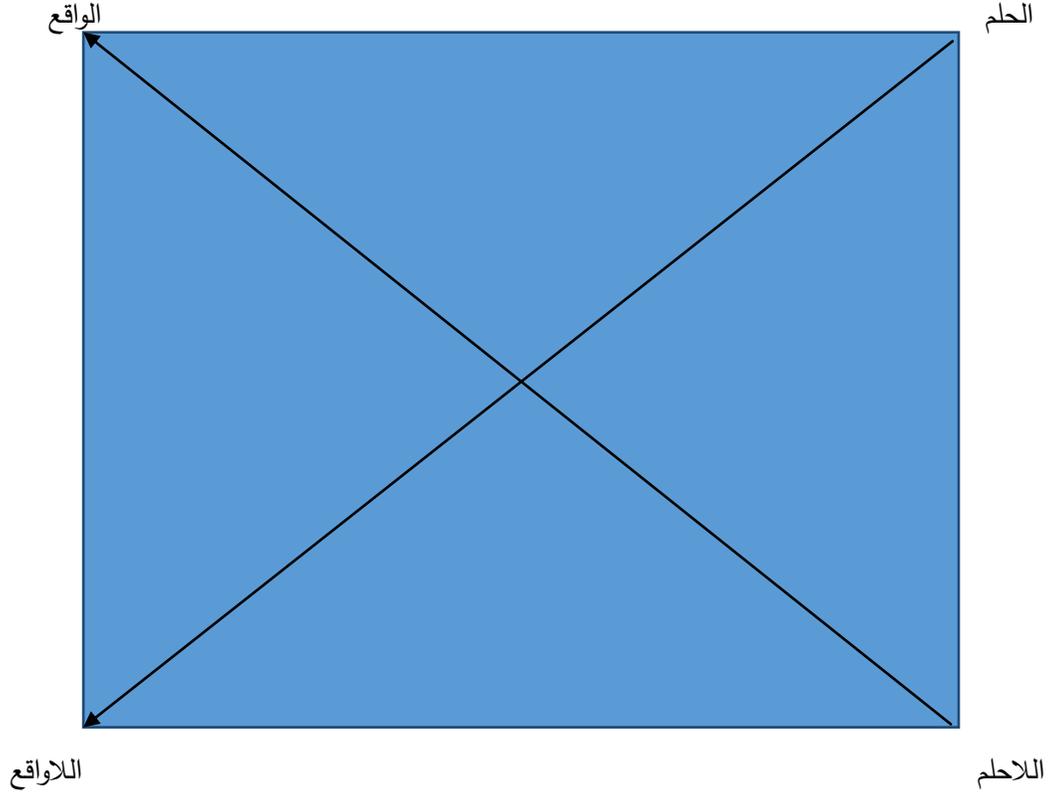
## البرنامج السريدي :



القلق، النقاد، الجمهور،  
التفكير، الأرض، الشعراء،  
أعداء النجاح...

اليوم، التابوت، الحرف، التأمل،  
المرايا، ضوء المعاني، التجلي  
سحر الكلمة، الإلهام، الإعجاز  
السماء، اليقين، وكل الملابس  
التي تتبع حالة ولادة القصيدة

إذا نخلص من وراء هذا المخطط بأن الشاعر في بداية السرد الشعري كان منفصلاً عن حلمه لكنه استطاع أن يحققه ويتصل به في نهاية السرد الشعري وذلك عندما فلق اليقين/ واستلهم كلماته من السماء، بل أخرجها في الأخير بيضاء تشبه حلمه، وفي ذلك دلالة على أن الحلم تحقق كتحقق معجزة موسى أمام السحرة . وعليه يمكن أن نرصد المربع السيميائي الذي يختزل الثنائيات التضادية فنقول:



ومن ثمة الصراع قائم بين الأفكار والأحلام والواقع ، فالصراع ذهني أكثر منه واقعي.

#### • خاتمة:

- من خلال تحليلنا لقصيدة الطفل الحلم لهشام الصقري نخلص إلى النتائج التالية والتي مفادها أن :
- البؤرة التي تتمحور حولها القصيدة هي فكرة الحلم والمتجسدة في إبراز وإخراج إبداعه إلى النور الذيبدأ بفكرة، فكلمة، فقصيدة، والتي تشاكلت ضمناً مع فكرة الحلم في قصة سيدنا موسى عليه السلام والتي بدأت بحلم تمثل في أن فرعون حلم بأن طفل من بني إسرائيل سيولد

ويكون سببا في زوال ملكه؛ فبعيدا عن ملابسات قصة سيدنا موسى عليه السلام التي سبق وتطرقتنا إليها في التحليل، وبعيدا عن ملابسات تشكّل القصيدة -قصيدة الطفل اللحم- لهشام الصقري يمكن أن نستنتج أن موسى جسد نبوءة الطفل في حلم فرعون، وهشام الصقري حقق حلمه وهو إنجاز فعل الكتابة/ القصيدة، من خلال كسر هاجس الخوف والوهم، وإنجاز فعل الكتابة.

- ثانيا تحمل القصيدة - الطفل اللحم- في ثناياها رسالة يرغب الشاعر في إيصالها إلى المتلقي/النقاد/ الجمهور/ وقد بلغت هذه الرسالة عندما ألقاها الشاعر على مسامع النقاد والجمهور، الأمر عينه بالنسبة لموسى عليه السلام فقد استطاع أن يبلغ رسالته لبني إسرائيل.
- استطاع الشاعر أن يحقق من خلال المقومات السردية جماليات انعكست على القصيدة، وأضفت عنصر التشويق الأمر الذي يجعل المتلقي يسترسل في القراءة، ويتمتع بتوالي الأحداث التي يستحضر من خلالها قصة سيدنا موسى عليه السلام.
- إن القلب القصصي الذي تشاكلت معه البنية السردية للقصيدة أعطاها بعدا جماليا، وقيمة شعرية تحققت على مستوى القطب الدلالي، الذي تعالقا من خلاله النصان، وكأن قيمة القصيدة زادت في مؤشرها الجمالي تعالقاتها مع أحداث النص القرآني في قصة سيدنا موسى التي وصلت ذروتها عند وصول الشاعر إلى -"مسرح شاطئ الراحة- أبو ظبي"- فارتقى بالمكان إلى درجة التقديس، ما يحيلنا مباشرة إلى جبل الطور المقدس الذي تلقى فيه سيدنا موسى التوراة.
- تساهم التعالقات النصية في إعطاء النص الشعري عمقا دلاليا، وبعدا رمزيا، يزيد من تألق النص ويفتح أفق التأويل، ويجعل المتلقي متعدد القراءات فيخرج بالإبداع الأدبي من النمطية إلى أرقى درجات قيمته الفنية، وهذا ما لمسناه في قصيدة "الطفل اللحم" لهشام الصقري، ما يجعلنا نلقي عليها بحق القصيدة المثقفة، ويجعلها تتمايز عن بقية القصائد الأخرى.

#### ● قائمة المصادر والمراجع:

1. جوليا كريستيفا- علم النص- ترجمة فريد الزاهي- دار توبقال -الدار البيضاء- ط2-1997م .
2. خالد الغريبي، الشعر التونسي المعاصر بين التجريب والتشكل، دار النهى للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1، سفاقص، تونس، 2005م.

3. خالد حسين حسين، في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، ط1، دار التكوين، دمشق ، 2007م.
4. شادية شقروش: سيمياء الشعر بين فيض التلقي وشعرية اللغة ، قصيدة دموع الحلاج للشاعر علي شمس الدين في، مقال نقدي.
5. شادية شقروش: سيميائية الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح، للشاعر عبد الله العشي، دار عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2010م.
6. شادية شقروش: تجليات يوسف في الشعر العربي المعاصر دراسة موضوعية، رسالة دكتوراه.
7. عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، السلسل النقدية 8، ط1، دار محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا 2011م.
8. عبدالله الغدامي، تأنيث القصيدة، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، لبنان، 1999م.
9. عمر أحمد الريحان، الشاعر وذاكرة الطفل في الشعر العربي الحديث، رسالة مقدمة لاستكمال درجة الدكتوراه، إشراف الأستاذ الدكتور سامح المرشدة، جامعة مؤتة، السعودية ، 2010م.
10. معجب العدوان: تشكيل المكان، وظلال العتبات، النادي الأدبي الثقافي، ط1، جدة، المملكة العربية السعودية، 2002م.